أجلاڤين وسيليزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للكاتب البلجيكي موريس مترلنك

بقلم الدكتور محمد غلاب

أشخاص الرواية

تظهر في هذه الرواية خمس شخصيات ، ثلاث منها تلعب دوراً جوهريا ، واثنتان قليلا الأهمية . فأما الثلاث الأول فهي شخصية « سيليزيت » وشخصية « ميليماندر » زوجها و « أجلاڤين » أيم شقيق « سيليزيت » ؛ وأما الشخصيتان الثانويتان في هذه الرواية فهما شخصيتا « ميلنجران » جدة « سيليزيت » و « إيمالين » الفتاة الصغيرة .

الفصل الأول

المنظر الوحيد : يجري هذا المنظر في إحدى قاعات قصر « ميليماندر » حيث تشاهد الجدة العجوز مستغرقة في النوم على كرسي طويل ذي مسند عال في نهاية القاعة .

ميليماندر — سيليزيت :

ميليماندر ممسكا بيده الرسالة التي وردت إليه من أجلاڤين يقرأ :

« لا تخرج لمقابلتي ، بل انتظرني في نفس القاعة التي تنتظر فيها عادة سماع دقات ساعات الراحة حتى لا أحس أنني أجنبية : إنني أكتب إليك هذه الرسالة على أثر نزولي من الباخرة التي كانت تحملني إليك.

لقد كان هذا السفر سعيداً وموفقاً ، غير أنني حين نزلت إلى الشاطىء وجدت الطريق مفعما بمياه الأمطار الغزيرة ، ومن المحتمل أن الشمس ستغرب قبل أن ألمح برج ذلك القصر العتيق حيث سيليزيت الحيرة أرادت أن تستقبل (أيم) شقيقها

سيليزيت مصفقة :

أوه ، الشمس آذنت بالمغيب ، أنظر إذاً ، لا بد أن تكون قد اقتربت ، سأرى . ولكن « ميليماندر » يمنعها من الخروج بإشارة ويستأنف القراءة .

« أنا لم أرك إلا مرة واحدة « يا ميليماندر » وكانت في وسط الحيرة والارتباك ، لأنها كانت في يوم عرسي ، ذلك العرس البائس الذي مع الأسف لم نلمح فيه ذلك الضيف [1] الذي لا يدعوه أحد ، ولكنه كان يجلس دائماً في مكان السعادة التي تنتظرنا . لم أرك إلا مرة واحدة منذ ثلاثة أعوام ، ومع ذلك فانني أجيء نحوك بلا قلق كأننا كنا ننام منذ الطفولة في مهد واحد . إنني متأكدة أني أجد فيك أخا شقيقاً . نحن لم نتحادث معاً تقريباً ولكن الكلمات القليلة التي قلتها لي كان لها في مسمعي نبرات تغاير جميع النبرات التي سمعتها حتى الآن . »

سيليزيت — لا تقرأ سريعاً إلى هذا الحد

ميليماندر مستمراً في القراءة : « كم أنا أشتهي

(١) المراد بالضيف الموت .

أن أقبل سليزيت ! لا بد أن تكون غاية فى الخيرية وغاية فى الجمال ما دمت تحبها وهي تحبك . سأحبها حتما أكثر من حبك إياها ، لأن التعاسة علمتنى كيف أحب . والآن أنا سعيدة بأن تألمت كثيراً ، وأستطيع أن أقاسمكما الخير الذى يناله الأشقياء أثناء آلامهم . يخيل إلى أن الفداء الذى دفعته أنا يكفى لأن يفتدينا نحن الثلاثة ، وأن القدر لن يطالبنا بعد بشيء . وأننا نستطيع منذ الآن أن نتحقق من وجود حياة قيمة ، وأننا لن ننشغل بعد ذلك إلا بالسعادة ؛ فأنت وأنا وسيليزيت كما نبأتنى عنها نظفر بالسعادة ، لأن السعادة لا تنبع إلا من نواحى الخير التى فى داخل أنفسنا . سوف لا يكون عندنا ما يشغلنا إلا أن نصبح غاية فى السمو حتى يحب كل منا الآخر أكثر مما يحبه الآن ، وحتى نصير أخياراً بقدر ما نتحاب فيما بيننا . إننا سنشغل نفوسنا ونحوط أشخاصنا بالحب حتى لا ندع فيها مجالا للشقاء ، ولا للحزن ؛ وإذا أراد الشقاء والحزن أن يتدخلا بيننا على رغم كل هذا فيجب أن يصيرا عذبين قبل أن يطرقا بابنا »

سيليزيت — هل هى جميلة ؟

ميليأندر — من هى ؟

سيليزيت — أجلاڤين

ميليأندر — نعم هى جميلة جداً .

سيليزيت — من تشبه ؟

ميليأندر — إنها لاتشبه أية واحدة من النساء . إنه جمال من نوع آخر ، وهذا هو كل ما أقول . إنه جمال أكثر غرابة وأكثر سموا . إنه جمال ذو نواح متعددة . إنه جمال يدع الروح دائما تنعكس على الوجه دون أن يحول بينها وبين ذلك الانعكاس مرة واحدة ، وسترين أن لها شعرا يصح أن يكون المفرد العلم فى بابه ، شعرا يضحك حين تكون سعيدة ويبكى حين تكون حزينة ، على حين أنها هى شخصيا قد تجهل ما إذا كان ينبغي لها أن تكون سعيدة أو حزينة . وأنا لم أر قط شعرا تنبعث منه الحياة كهذا الشعر . إنه يخدعها فى جميع الأحيان إذا صح أن نسمى إظهار الفضيلة المراد إخفاؤها خداعا ، لأنها ليس لديها ما تحاول أن تخفيه إلا الفضيلة

سيليزيت — أنا أعرف أني لست جميلة

ميليأندر — لاتقولى هذا الكلام أثناء وجودها هنا ، لأنه ليس من الممكن أن يقال أمامها كلام غير مجد كهذا الكلام ، إذ أنها تطفئ بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها .

سيليزيت — إنها تطفئ بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها ... !

ميليأندر — سيليزيت ؟

سيليزيت — ميليأندر ؟

ميليأندر — إنه قد مضت علينا أربعة أعوام ونحن نعيش معا .

سيليزيت — إن العام الرابع سيكمل فى نهاية هذا الصيف .

ميليأندر — ها هى ذى أربعة أعوام قد مضت وأنا أجدك بجانبي دائما جميلة ودائما محبة ووديعة ، والبسمة الحلوة التى تنم عن السعادة العميقة لاتفارق ثغرك . أنت لم تبك كثيرا فى هذه الأعوام الأربعة . أليس كذلك ؟ اللهم إلا حين يفر من بين يديك أحد طيورك المحبوبة . أو حين تشاكسك جدتك ، أو حين تذوى إحدى زهورك المنتقاة فتسكبين بضع عبرات قليلة ، ولكن عند ما يعود الطائر وتهدأ الجدة وتنسى الزهرة تعودين إلى القاعة ضاحكة مستبشرة دافعة الأبواب والنوافذ ، قافزة فوق ركبتى مقبلة خدى كأنك طفلة تعودين من المدرسة . وأحسب أنه بناء على هذا يمكن أن نقول : إننا كنا

سعداء ، ومع ذلك فانني أراني مضطرا أحياناً إلى أن أسأل نفسي : هل يعيش كل منا قريباً من الآخر؟ ولست أدري هل أنا الذي يعوزه الصبر لكي أتبعك أو أنت التي تهربين مني بسرعة فائقة ، ولكن الذي لاشك فيه هو أنني حينما أريد أن أحادثك كما حدث منذ لحظة ، فانك في أغلب الأحيان تكونين كأنك تجاوبينني من الطرف الآخر للعالم حيث تفرين مني وتبحثين عن مأوى آخر ، ولا أعرف لشيء من هذا كله سببا . فهل حقا أن أرواحنا تروع إلى هذا الحد من المواقف الجدية أو من ذكر الحقائق التي تتعلق بالحب ؟ ثم ألم يحل هذا التباعد الروحي بيننا وبين بعض الأشياء التي كانت تستطيع أن تربط بيننا أكثر من قبل الشفاه ؟ أنا لست أدري لماذا أحس هذا الاحساس الليلة أكثر من كل وقت آخر ؟ هل السبب في هذا الاحساس هو ذكريات « أجلافين » الأكثر حيوية ، أو هو رسالتها التي بين أيدينا ، أو هو قدومها الذي أصبح مناقاب قوسين أو أدنى ؟ ذلك القدوم الذي سيستخلص حتما بعض الشيء من قلوبنا .

يخيل إلى أننا قد تحابينا بقدر مايستطيع النوع الانساني أن يتحاب ، ولكن حينما تحضر « أجلافين » سيزداد حبنا ، وسيكون من نوع آخر أكثر عمقا ؛ ولهذا السبب على الأخص ، أنا سعيد بقدومها ، أما وأنا وحدي فلا أستطيع هذا النوع الجليل من الحب ، لأني لا أملك القوة التي عندها وإن كنت أرى الأشياء كما تراها . إنها إحدى هذه الكائنات التي تعرف كيف تجمع القلوب إلى منابعها ، وحينما تكون هنا سوف يشعر كل واحد منا بأنه لافرق بين ما هو عليه وبين الحقيقة .

سيليزيت — أحبها ، فاذا أحببتها فسأنصرف

ميليأندر — سيليزيت ... !

سيليزيت — أنا أعرف أنني لا أفهم ذلك

ميليأندر — أنت تفهمين ياسيليزيت — وإن كنت لاتريدين أن تعترفي بذلك — ولولا أنني واثق من هذا لما حدثتك عن كل ذلك ؛ إن لك روحا أعمق مما تظهرين لي ، وهذه الروح العميقة هي التي تتلهين باخفائها عني حين أبدأ في البحث عنها

لاتبكي ياسيليزيت فليس ذلك تأنيبا لك من جانبي

سيليزيت — أنا لا أبكي ، ولماذا أبكي ؟

ميليأندر — ومع ذلك فأنا أرى شفتيك ترتعشان

سيليزيت — إنني كنت أفكر في شيء آخر لا علاقة له ألبتة بما تقول ، هل كانت شقية حقاً ؟

ميليأندر — نعم إنها كانت شقية بسبب شقيقك

سيليزيت — لعلها تستحق

ميليأندر — أنا لا أدري إذا كان في العالم سيدة تستحق أن تكون شقية

سيليزيت — ماذا عمل لها أخي ؟

ميليأندر — إنها توسلت إلي ألا أنبئك بشيء مما فعله أخوك معها

سيليزيت — هل كنتما تتراسلان ؟

ميليأندر — لقد أريتك رسائلها أكثر من مرة ولكنك لم تكوني تهتمين بقراءتها

سيليزيت — لا أتذكر ذلك

ميليأندر — ولكني أنا أذكره جيدا

سيليزيت — أين رأيتها آخر مرة ؟

ميليأندر — أنا لم أرها إلا مرة واحدة ؛ ولقد قلت لك ذلك آنفا ؛ ولقد كان ذلك في حديقة قصر شقيقك تحت الأشجار الوارفة الظلال

سيليزيت — في المساء ؟

ميليأندر — نعم في المساء

سيليزيت — ماذا كانت تقول ؟

ميليأندر — لقد قلنا يومئذ شيئاً قليلا ولكننا استطعنا أن نرى أن غايتنا واحدة

سيليزيت — وهل تعانقتما

ميليأندر — متى ذلك ؟

سيليزيت — فى نفس ذلك المساء

ميليأندر — نعم تعانقنا فى ساعة الفراق

سيليزيت — آه . .

ميليأندر — أنا لا أظن أنها ستمكث بيننا زمناً طويلا يا سيليزيت

سيليزيت — بلى ، أنا أريد أن تمكث

بينما الزوجان على هـذه الحال إذ سمعا ضجيجاً خارج المنزل فصاحت الزوجة قائلة : إنها جاءت ثم قفزت إلى النافذة وقالت إنه يوجد فى الممر الأسفل مصباح ، ثم تلت ذلك لحظة من السكون فتح الباب على أثرها وظهرت على عتبته « أجلافين » التى لم تلبث أن دخلت واتجهت نحو سيليزيت بعد أن نظرت إليها نظرة قصيرة فاحصة

ميليأندر — تعانقا

أجلافين — نعم . وعانقت سيليزيت ثم اتجهت نحو ميليأندر وعانقته قائلة : وأنت أيضاً

الفصل الثانى

المنظر الأول

يجرى هذا المنظر فى حديقة القصر حيث يجلس ميليأندر وأجلافين على مقعد فى هذه الحديقة

ميليأندر — لم يمض بعد أسبوع على مقامنا تحت سقف هذا القصر ، ولـكنني لا أستطيع أن أتخيل أننا لم نولد فى مهد واحد ، يخيل إلى أننا لم نفترق قط وأننى عرفتك قبل أن أعرف نفسى ، إنك تظهرين لى سابقة على كينونتى نفسها . إننى أحس بروحك أكثر مما أحس بروحى . إنك أكثر قرباً إلىَّ من كل ذاتى . ولو أنه قيل لى : نج حياتك لبادرت إلى تنجية حياتك أنت لـكى أحيا بها ؛ ولو أنك لم تـكونى هنا لما استطعت أن أرى نفسى . أنا لا أجد شخصيتى ولا أبتسم لنفسى ، بل أنا لا أحبها إلا فى ذاتك أنت . يخيل إلى غالباً حين أعانقك أننى أعانق باكياً جزء نفسي الذى ليس من هذا العالم الأرضى .

أجلافين — وأنا أيضاً أقول بدورى يا ميليأندر حين أعانقك أننى أعانق نفسى بعد أن أصير أكثر جمالاً ؛ أنا لست حقيقة من الحقائق إلا حين تكون بجانبى ، ولا أسمع صوت نفسى إلا ممتزجاً بصوتك.

إننى أبحث عن نفسى خارج ذاتى فلا أجدها إلا ممثلة فيك . أنا لم أعد أعرف إذا كنت أنت ضوئى أو أنا نورك . إن امتزاج ذاتينا قد وصل إلى حد لا يستطاع معه تمييز أين يبدأ أحدنا وأين ينتهى الآخر . إنى أشعر أننى أُزْهِر فى نفسك كما تزهر فى نفسي ، وأن كلاً منَّا يتوالد فى نفس الآخر بدون انقطاع .

ميليأندر — إنه لا يوجد شئ يباعد بيننا قليلا إلا تلك الدهشة التي تخالج نفسينا .

أجلافين — هذا حق : إننى أدهش نهاراً وليلا من أن كائناً مثلك يوجد فى الحياة الواقعية .

ميليأندر — وأنا أيضاً أعترف بأن جميع حواسي لم تعد كافية لأن أفهمك . إننى أحسبنى أحلم حين أراك ، وأحسبنى أحلم حين أسمعك ، وأظن أننى فى حلم حين لا أراك . وأعتقد أننى مخدوع حين لا أسمعك . فأتجه نحوك ظناً أننى لا أزال مخدوعاً فأراك وأسمعك وأعانقك ، وفى هذه اللحظة نفسها أريد أن أفر ، لأبحث عن شئ أكثر تأكداً من هذا .

أجلافين — وأنا أيضاً حينما أكون بجانبك أود أن أبعدك عنى لـكي أراك أكثر امتزاجاً بى حين أكون منفردة ، ولـكننى حين أكون وحدى

أشعر بشيء يجذبني إلى البحث عنك ، لأنني أعتقد أن روحك تنتظرني بحالة أكثر عمقاً ألف مرة مما أستطيع أن أتخيله . أنا لم أعد أعرف ماذا ينبغي عمله في وسط سعادة كسعادتنا . إنه ليخيل إلي أحياناً أنني شقية من فرط السعادة .

ميليأندر — أين كنت توجدين أثناء السنين التي مرت قبل أن يعرف كل منا الآخر .

أجلافين — أنا كنت أفكر في أن أوجه إليك هذا السؤال نفسه ، لأن روحينا تتكلمان غالباً قبل أن ينفرج ثغرانا عن ألفاظ .

ميليأندر — ومع ذلك فانك حين تتكلمين فانما هو صوتي أنا الذي أسمعه للمرة الأولى .

أجلافين — وأنا حينما تتحدث إلي فانما هو قلبي الذي أستمع إليه ، وحينما أصمت فانما أستمع إلى قلبك . أنا لا أستطيع أن أجد قلبي دون أن أتلاقى مع قلبك ، ولا أستطيع أن أبحث عن قلبك دون أن أجد قلبي .

ميليأندر — إن روحينا كان يجب من غير شك أن تكونا في جسم واحد ، ولكن لست أدري لماذا وضعهما الإله في جسمين مختلفين .

أجلافين — أين إذاً كنت أثناء هذه الأعوام التي كنت أحياها منفردة ؟

ميليأندر — كنت أنتظرك منفرداً أيضاً وإن كان ذلك بلا أمل .

أجلافين — وأنا أيضاً كنت أنتظر منفردة ، ولكنني كنت أؤمل .

ميليأندر — ولكن من الذي قال لك : إن أحداً من هذا النوع ينتظرك .

أجلافين — لم يقل لي أحد شيئاً ، ولكنك أعرف شيئاً إلا أن يكون المرء يعرف دون أن يعرف ، ولقد كنت أعرفك دون أن أراك .

ميليأندر — ولكن هل كنت تستطيعين أن تحبيني كما أحبك قبل أن ترَيني ؟

أجلافين — وأنت هل رأيتني كما رأيتك قبل أن ألتقي بك ؟

ميليأندر — أنا لا أصدق أن مايحدث لنا الآن قد حدث لأحد غيرنا وأن توجد حياة أخرى تشبه حياتنا

أجلافين — آه إنني أعتقد أحياناً أن ذلك مستحيل

ميليأندر — وأنا أيضاً ، ولهذا أرتاع .

أجلافين — مِنْ ماذا أنت مرتاع ؟ لقد وجد كل منا صاحبه ، فماذا يمكن أن يخشى بعد ذلك ؟

ميليأندر — بالعكس إنما يجب على المرء أن يرتاع أكثر حينما يكون سعيداً . إنه لا يوجد شيء يهدد الانسان أكثر من السعادة ، وإن كل قبلة تتبادل بين الحبيبين يمكن أن توقظ عدواً جديداً ، وفوق ذلك فان هناك شيئاً آخر .

أجلافين — ماهو ؟

ميليأندر — هي سيليزيت .

أجلافين — ثم ماذا ؟

ميليأندر — هل فكرت في سيليزيت ؟

أجلافين — نعم

ميليأندر — أو ليس يروعك هذا ؟

أجلافين — لا . هذا لم يعد يروعني

ميليأندر — إنها يمكن أن تتألم

أجلافين — ألا أستطيع أن أحبك كشقيق ياميليأندر ؟

ميليأندر — ومع ذلك فاذا بكت فماذا يكون ؟

أجلافين — إنها لن تبكي طويلا إذا صمدت إلى صفنا . لماذا لا تصمد معنا إلي الحب الذي يتجاهل صغائر الحب ؟ إنها خير مما نعتقد يا ميليأندر ، إننا سنمد إليها يدينا ، وإنها ستعرف كيف تلحق بنا ، ومتى تحقق لها ذلك ، فإنها لن تبكي . إنها ستبارك

بدموعها ، لأن بعض الدموع خير من القبل .

ميليأندر — هل تصدقين أنني أحبك كأخت؟

أجلافين — آه !

ميليأندر — وهل تعتقدين أنك تستطيعين أن أن تحبيني كأخ ؟ .

أجلافين — حينما تسألني عن هذا لا أعرف عنه شيئاً .

ميليأندر — لم أعد أستطيع أن أصدق ذلك ، إننا سنجاهد وسنقاوم وقتا طويلا ، وإن أبدع قوانا التي سنكسبها من الحب النفيس أو من الجمال النقي أو من الحقيقة العميقة ستنهك في هذه المغالبات العابثة، وبقدر ما نقاوم سنجد بيننا رغبة تشبه ستاراً يزيد كثافته شيئاً فشيئاً حتى تتناهى في الظلمة . ولا شك أن أسمى نواحي نفسينا ستنعدم أمام هذه الرغبة. يخيل إلى أنه لا يوجد في أعماق كل هذا إلا أشياء تافهة بين روحين وبين سعادتهما . هل النجوم والأزهار ، أو المساء والصباح . أو الفكر والدموع . لا تتطور تبعاً للقبل التي تتبادلها معاً ؟ بل هل الليل نفسه له في نظر الأخت عين العمق الذي هو في نظر العشيقة ؟ ينبغي ألا نغلق الباب دون الحقيقة العميقة فنور حياتينا سيتضاءل أمام هذه الكذبة الصغيرة . أنت لست أختي يا أجلافين ، وأنا لن أستطيع أن أحبك كأخت .

أجلافين — إنه لحق أنك لست أخي ، وهذه نقطة آلامنا من غير شك .

ميليأندر — أنت أيضاً إذاً تحبين الألم العابث

أجلافين — أنا لا أحب إلا الألم الذي أحتمله عن الآخرين .

ميليأندر — وأي ألم ذلك الذي نحمله هنا عن الآخرين دون أن نفقد أنفس مالدينا ؟

اجلافين — نحن لا نعرف ذلك حتى الآن ، ولكن يجب ان نعمل كما لو كنا نعرف ، وإذا كان لابد من الخطأ فالأفضل ان يخطىء الانسان على نفسه

ميليأندر — أنا أعرف ذلك ، ولكن كيف العمل ؟ .

أجلافين — إن القدر قد قرب بيننا فتعارفنا بهيئة قد لا يكون أحد سبقنا إليها ؛ لقد أحب كل منا الآخر حباً لا يستطيع شيء في الدنيا أن يغيره فيمنعك من أن تحبني أو يمنعني من أن أحبك .

ميليأندر — إنني أعتقد ما تعتقدين ولا أرى شيئاً في العالم . . . . .

أجلافين — ومع ذلك فلو أنني أبكيت كائنا طاهرا، هل ستظل تعرفني ؟ .

ميليأندر — إنه من غير الممكن أن يبكي أحد بسببك إلا إذا كان مخدوعا .

أجلافين — إن الدموع التي تنسكب خطأها مؤلمة أيضاً .

ميليأندر — إنه لم يبق لنا إلا أن يغادر كل منا صاحبه يا أجلافين ، ولكن هذا مستحيل ، لأني لا أستطيع أن أتخيل أن حبنا ولد ليفنى في الدموع ؛ وفوق ذلك فأنه يجب علينا أن نؤدي واجبنا نحو أنفسنا

أجلافين — أنا أعتقد ذلك أيضاً يا ميليأندر ، وأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الفراق ، لأن هذا الحب الجميل لم يولد ليموت .

ميليأندر — أنا لا أعرف لماذا ولدت هذه الأشياء ، ولكني أعرف أن الدموع تجيء على غير انتظار .

أجلافين — إذا كان هناك أحد يجب أن يتألم فينبغي أن نكون نحن . إن هناك ألف واجب ولكني أعتقد أن الانسان لا ينخدع إلا نادراً حينما يجتهد في ان يرفع الألم عن الضعفاء ، ليحتمله هو نفسه

ميليأندر — (ضاما إياها بين ذراعيه) : إنك لجميلة يا أجلافين .

أجلافين (ضامة إياه بدورها) : إني أحبك ياميليلياندر .

ميليلياندر — هل أنت التي تبكين يا أجلافين ؟

أجلافين — لا ، لست أنا ، وإنما نحن .

ميليلياندر — وهل نحن أيضاً الذين نضطرب؟

أجلافين — نعم

(في هذه اللحظة أخذ الحبيبان يتعانقان بحرقة وإنهما لكذلك إذ سمعا صيحة ألم ثم رأيا سيليزيت فارة نحو القصر والهواء يعبث بشعرها)

ميليلياندر — ها هي ذى سيليزيت .

أجلافين — نعم .

ميليلياندر — إنها سمعتنا وفرت نحو القصر .

أجلافين — (قائلة وهى تشير إلى سيليزيت) : إذهب إليها .

ميليلياندر — نعم

(قال هذا وانفلت مسرعاً نحو سيليزيت بينما استندت اجلافين إلى شجرة من أشجار الحديقة وأخذت تبكي بكاء صامتاً)

المنظر الثانى

يقع هذا المنظر فى حديقة القصر على شاطئ حفرة مفعمة بالمياه حيث ترى اجلافين نائمة على مقعد من الحجر ملاصق لحافة الحفرة .

سيليزيت تحادث نفسها قائلة : « سيليزيت الصغيرة لاينبغى أن تبكي ، إنه يشفق علىّ ، لأنه لم يعد يحبني ، وأنا كذلك لم أعد أحبه ، إنهما يعتقدان أنني سأظل هادئة ، وأنه حسبي أن يعانقني وهو متجه إلى ناحية أخرى .

سيليزيت — سيليزيت ، هذه الكلمة تقال بحنان ، وبحنان أكثر من المعتاد ، إنه ينظر إلى شيء آخر حين يعانقني الآن ، أو هو ينظر إلى كأنما يسألني الصفح عنه ، وحينما يتعانقان يجب أن أختفى كما لو أنني كنت قد سرقت شيئا . إنهما قد خرجا أيضا هذا المساء ، لقد غاب عني أثرهما فى الحديقة . إن سيليزيت الصغيرة لا علم لها ألبتة بسرهما ، وإنه لم يعد يتحدث إليها أحد منهما إلا باسماً ولا يتقدم إليها إلا بقبلة فوق الجبهة أو بشيء من الزهور أو الفواكه . إن سيليزيت الصغيرة محمية الآن بهذه الأجنبية ، إنهما يعانقانها باكيين ، ليقولا فيما بينهما وبين أنفسهما : أوه ! يا للمسكينة الصغيرة ! إنها لن تنصرف ، ولكنها لن ترى شيئا . على أثر ذلك يتناول كل منهما يد صاحبه ، نعم نعم إلى هذه اللحظة . . . صبرا صبرا . . . إن سيليزيت سيكون لها يومها ، إنها لاتعرف إلى الآن ماذا تفعل ،ولكن صبراً صبراً ، سنرى »

وبينما هى كذلك إذ بها تلمح أجلافين نائمة على المقعد الملاصق للحفرة ، فاقتربت منها قائلة : إنها منفردة أيضا ، وهذا الذى على وجهها ؟ أهو شعاع القمر ؟ أم هو نصيفها [1] الأبيض ؟ إنها نائمة ، ماذا سأعمل ؟ إنها لعلى شاطىء الحفرة من حيث لاتدري ، فلو أنها تحركت أقل حركة لسقطت في الهوة ، وفوق ذلك فقد أمطر المطر ، وإنها قد غطت رأسها ، ولكن صدرها ظل مكشوفا ، إنها مبللة بالمياه وستصاب بصدمة برد ، لأنها لا تعرف جو هذه البلاد ، هل سقطت على هذا المقعد أو هي مريضة ؟ آه . إنها تضطرب فى نومها ، سأعطيها معطفى ، ثم غطت أجلافين بمعطفها وأزاحت النقاب عن وجهها . إنها تنام نوماً عميقاً . أنا أظن أنها بكت ، إنها لاتلوح عليها علامة السعادة ولا يظهر على وجهها أنها أسعد منى ؛ إنني أرى أنها لاتزال

(١) النصيف : النقاب

تبكى ، إنها لجميلة حين تكون ممتقعة هكذا حتى لكأنها ممتزجة بأشعة القمر ! لاينبغي إيقاظها بغتة لأنها يمكن أن ترتاع فتسقط فى الهوة . قالت هذا وانحنت عليها برقة ثم نادتها بهدوء: أجلافين أجلافين!

أجلافين (مستيقظة) : آه ! الجو مضىء

سيليزيت — خذى حذرك إنك على الشاطيء ، لاتتحركي فيأخذك الوهم .

أجلافين — أين أنا ؟

سيليزيت — إنك على حافة خزان المياه الحلوة للقصر ، ألم تكونى تعرفين ذلك ؟ وهل جئت وحدك إلى هنا ؟ كان ينبغى أن تحتاطي ، إن هذا لهو المكان الخطر .

أجلافين — إننى لم أكن أعرف ذلك ، لأن الجو كان مظلما فلم أر إلا هاتيك الشجيرات التى حالت بيني وبين رؤية الماء ، وإلا هذا المقعد ؛ وقد كنت حزينة ومتعبة فنمت .

سيليزيت — هل أصابك البرد ؟ أحكمي على جسمك المعطف .

أجلافين — ما هذا المعطف ؟ إنه لمعطفك يا سيليزيت ، إنك أنت التى غطيتنى حينما كنت نائمة ، لكن أنت التى أصابك البرد ، تعالى هنا لأدثرك أيضا . إنك ترتعشين أكثر منى . قالت هذا والتفتت نحو الحفرة ثم صاحت : آه . . . الآن قد أشرق القمر ، فأنا أرى الماء يلمع بين جدران الهوة فلو أننى تحركت أدنى حركة ... هل أنت ... ياسيليزيت ... (ثم نظرت إلى سيليزيت)

سيليزيت — لا تمكث هنا ، هذا هو مكان الحمى

أجلافين — لا ينبغى أن نضيع فرصة مثيلات هذه اللحظات ، لأنها لاتتكرر . لقد رأيت روحك ياسيليزيت ، لأنك أحببتنى بالرغم منك حين أيقظتنى آنفا .

سيليزيت — إننا سنصاب بالبرد يا أجلافين .

أجلافين — أنا أرجوك ألا تحاولى الفرار فى اللحظة التى كل مافى كينونتك من عمق وسعة قد أراد أن يتجه نحوى . هل تعتقدين أننى لا أسمع المجهودات التى تتفاعل الآن فى نفسك ؟هل تعتقدين أن كلاًّ منا سيكون أكثر قربا إلى صاحبه في أى وقت آخر منه الآن ؟ لا ينبغى أن نضع كلمات تافهة تشبه الشوك بين قلبينا المسكينين . فلنتحدث ككائنين مسكينين من بنى الانسان كما هى حالتنا وكما يتكلم كل كائنين بقدر ما يستطيعان، أى بأيديهما وأعينهما وروحيهما كلما أرادا أن يتحادثا عن شىء أكثر حقيقة من ان تسمو إليه الألفاظ . هل تعتقدين أننى لا أسمع قلبك حين ينبض بمختلف العواطف وشتى الاحساسات ؟ عانقينى فى هدوء هذا الليل ودعينى أحوطك بذراعى ، وإذا لم تستطيعي ان تجاوبينى فلا تهتمي لذلك ، لأن فى داخل نفسك شيئاً انا اسمعه كما تسمعينه انت سواء بسواء .

سيليزيت ـ (باكية) أجلافين . . .

أجلافين ـ (باكية) وأجلافين أيضاً تبكى ، إنها تبكى ، لأنها تحبك ولأنها هى أيضاً لا تستطيع أن تقول بالضبط ما ينبغى لها أن تعمل وما ينبغى لها أن تقول . ها نحن أولاء وحدنا ياسيليزيت المسكينة ؛ ها نحن أولاء وحدنا ، فلتضم كل واحدة منا الأخرى في هذه الظلمة . إن السعادة أو البأساء اللتين ستنزلان بنا قد يوضع تصميم مصيرهما فى هذه اللحظة في داخل أنفسنا ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يعرف ذلك ، وإننى كلما أسائل المستقبل عما يكنه لنا لا أجد جواباً على سؤالى إلا الدموع . أنا أعتقد أننى أكثر حكمة ، وحينما تجىء اللحظة التى تنبغي فيها المعرفة فسأشعر أنني محتاجة إليك أكثر مما تحتاجين إلىّ . ولهذا السبب أنا أبكى ، ولهذا السبب أنا أعانقك هكذا حتى يقترب كل واحد منا من صاحبه بقدر المستطاع

طبقاً لما يتركز في نفسينا من عواطف ، لقد آلمتك كثيراً في هذا الصباح .

سيليزيت — لا لا ، أنت لم تؤلميني .

أجلافين — لا ، بل آلمتك كثيراً في هذا الصباح ، وأريد ألا أقدم إليك شيئاً من ذلك في المستقبل ، ولكن ماذا ينبغي أن يعمله الانسان حتى لا يؤلم من يحبه ؟ لكأني بالحب هو منشأ الألم ، إذ لا يكاد المرء يحب الآخر حتى يكون هذا الحب مجلبة لآلام المحبوب ، وهكذا في اللحظة التي أحسست فيها بأنني أحببتك أكثر من ذي قبل ، طبعت على خدك القبلة التي أبكتك للمرة الأولى .

سيليزيت — لقد بكيت يا أجلافين ، ولكنني لم أكن عاقلة ، وسوف لا أبكي بعد الآن

أجلافين — يا سيليزتي المسكينة : إن الشخص لا يعرف بالضبط متى يكون عاقلا ؛ ولا ينبغي أن نسأل الذين يبكون : هل هم متعقلون أو غير متعقلين؟ وإنما يجب أن نبحث بكل بساطة عما ينبغي أن يتخذ من الوسائل لمنعهم من البكاء .

سيليزيت (باكية) — أجلافين . . . !

أجلافين — ماذا حدث؟ إنك لشديدة الاضطراب

سيليزيت — إنني لم أكن قد رأيتك نائمة قبل الآن يا أجلافين .

أجلافين — سترينني نائمة منذ الآن كثيراً يا سيليزيت .

سيليزيت — إنه لم يتحدث إليّ أحد قط بهذه الطريقة .

أجلافين — بلى ، بلى ، يا سيليزتي المسكينة . من المحتمل أن يكون قد قيل لك ما يقال للناس جميعاً ، لأن كل أحد يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام متى أراد ، ولأن كل كائن لا بد أن يظفر بسماع مثل هذا الأسلوب متى انتهز فرصة الحديث الضروي له ، ولكنك أنت لا تعرفين إلى الآن كيف تسمعين ذلك .

سيليزيت — إن المستقبل لا يشبه الماضي في هذه الناحية ، بل إنه شيء آخر يغايره تماماً

أجلافين — إن هذا الذي كنت لا تسمعينه يا سيليزيت لا يمكن أن يسمع بالأذن ؛ وهذا الذي تسمعينه الآن لا تسمعينه بأذنك حقاً ، لأنك في الحقيقة لا تسمعين الألفاظ التي أقولها لك ، وإنما تسمعين أنني أحبك .

سيليزيت — وأنا أيضاً أحبك

أجلافين — ولهذا أنت تسمعين وتفهمين جداً ما لا أستطيع أن أقوله : ليس يدانا وحدهما هما اللتين تتعانقان الآن يا سيليزيت المسكينة ، ولكن ملياندر يحبك أيضاً ، فلماذا لا تستمعين إليه ؟

سيليزيت — إنه ليس مثلك يا أجلافين .

أجلافين — إنه خير مني ، إنه لا بد أن يكون قد تحدث إليك أكثر من مرة وبأسلوب لا أستطيع أن أصل إليه .

سيليزيت — لا لا ، ليس الأمر واحداً في الحالتين ؛ اسمع : أنا لا أستطيع أن أقول لك بالضبط ما معنى هذا ؛ وإنما كل ما أعرفه أنه حينما يكون موجوداً أختبيء في داخل نفسي ، أنا لا أريد أن أبكي ولا أريد أن يعتقد أنني أفهم ما يجري ، لأنني أنا أحبه أكثر مما ينبغي .

. . . . . .

سيليزيت — أوه ، إنني بدأت أحبك يا أجلافين

اجلافين — أنا أحبك منذ وقت طويل يا سيليزيت

سيليزيت — أما أنا فلا ، لأني حين رأيتك للمرة الأولى لم أكن أحبك ثم أحببتك مع ذلك . لقد تمنيت لك سوءاً في وقت من الأوقات ، ولكنني لم أكن أعرف أنك هكذا ، لو أنني كنت في مكانك لكنت مؤذية .

أجلافين — لا لا يا سيليزتي المسكينة ، إنك في داخل نفسك لست خبيثة ولم تكوني لتصبحي

مؤذية ، وإنما فقط كنت لا تعرفين كيف يكون الانسان خيّراً حينما يكون شقياً . يحتمل أنك كنت تظنين إذ ذاك أن واجبك يقضي عليك بأن تكوني مؤذية مادامت الشجاعة تُعوزكِ لأن تكوني خيّرة

يتمني الانسان الشر لجميع الذين يهينونه ولكن عند ما يحدث لهم أقل ألم تنعكس الآية ، ويتمنى أن يمنحهم كل ما لديه من سعادة حتى يحول بينهم وبين البكاء ، ولكن لماذا لا يحبهم قبل ان يصبحوا تعساء ؟ لا يخطئ الانسان إذا أحبهم مقدماً ، لأنه لا يوجد في هذه الحياة كائن واحد يستمتع بالسعادة طول حياته.

سيليزيت — أريد أن أعانقك مرة أخرى يا أجلافين . . . . إن هذا لشيء عجاب ، في مبدأ الأمر لم أكن استطيع ان اعانقك . كنت ارهب ذلك ولا ادرى لماذا . والآن ، هل يقبلك غالباً ؟

اجلافين — هو . . ؟

سيليزيت — نعم

اجلافين — نعم ياسيليزيت ، هو يقبلني ، وانا اقبله ايضاً .

سيليزيت — ولماذا ؟

اجلافين — لأنه توجد اشياء لا يمكن ان تقال إلا فى حالة العناق ، وذلك لأن اكثر الأشياء عمقا ونقاء لا يمكن ان تبرز من الروح إلا حين تدعوها القبل للبروز .

سيليزيت — أنت تستطيعين أن تقبليه أمامى يا أجلافين .

أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن إذا كنت تريدين ذلك ياسيليزيت .

سيليزيت — (باكية فجأة) وتستطيعين أن تقبليه دون أن أراكما .

(قالت هذا وانحنت على كتف اجلافين واستمرت فى البكاء) .

أجلافين — لا تبكي يا سيليزيت ، لأنك خير منا نحن الاثنين .

سيليزيت — أنا لا ادرى لماذا ابكى ، انا لست شقية ، انا سعيدة بأن ايقظتك يا اجلافين .

اجلافين — وانا ايضاً سعيدة بأن ايقظتك يا سيليزيت[1] . تعالى ننصرف من هنا ، إذ لا ينبغى المكث طويلا فى نفس المكان الذي سعدت فيه روحانا بما لم يتح للنوع الانسانى ان يسعد به .

المنظر الثالث

يقع هذا المنظر فى جناح من اجنحة القصر حيث تشاهد سيليزيت وميليجران جدتها العجوز فى نهاية القاعة يتحادثان تحت ستار الظلام

ميليجران — انت لم تعودى تقوين على الاحتمال ياسيليزتى المسكينة ، لاتقولى : لا . لاتهزى راسك بخفقة دموعك .

سيليزيت — ولكن ياجدتى انا قلت لك : إننى ابكى لأننى سعيدة .

ميليجران — لا يبكى الانسان هكذا حينما يكون سعيداً .

سيليزيت — بلى ، إن السعيد يبكى هكذا مادمت أنا أبكى هكذا .

ميليجران — إستمعي إلى يا سيليزيت ، لقد سمعت ما كل قصصته على هذا المساء فى موضوع أجلافين ، أنا لا أعرف أن أتكلم مثلها ، أنا لست إلا امرأة عجوزا لا تعرف شيئاً كثيرا ، ولكننى تألمت أيضاً فى شبابى . أنا ليس لى فى العالم إلا أنت ، وإننى أقترب من القبر ، وكل هذه العوامل تظهر لنا من الحقائق ما قد يكون أقل جمالا مما تحدثنا عنه أجلافين ، ولكن ليس من اللازم دائماً أن تنتصر الحقائق الأكثر جمالا على الحقائق الأكثر بساطة

(١) المراد بالجملة الأولى هو إيقاظ سيليزيت لأجلافين من فوق حافة الهوة والمراد بالجملة الثانية هو إيقاظ أجلافين لسيليزيت من الناحية الروحية .

وشيخوخة . أنا لا أرى إلا شيئاً واحداً يا سيليزتى المسكينة وهو أنك — بالرغم من ابتسامتك التى تظهرينها — عندما تعتقدين أنك منفردة تتقعين وتبكين . لا ينبغي للانسان أن يغالب قواه النفسية إلى هـذا الحد . عبثا قيل : إن البكاء برهان عدم التعقل ، إذ حين يصل الانسان مثلى إلى نهاية الحياة يكون قد رأى كثيراً أن البكاء هو وحده برهان الحقيقة ، لأن القدر هو الذى يتحدث من خلال الدموع ، وأن الدموع التى تصعد إلى أعيننا إنما تجىء إليها من أعماق المستقبل

(إنهما لكذلك ، وإذا بأجلافين تدخل عليهما دون أن يلمحاها)

ميليجران — (مستمرة فى الحديث) لقد بكيت كثيراً يا سيليزتى المسكينة فبماذا تريدين أن ينتهي كل هذا ؟ لقد فكرت طويلا فى هذا كله ، وأنا فى هـذه الزاوية واجتهدت أن أتحدث إليك بلهجة هادئة بالرغم مما أعانيه من ألم حين أراك تتألمين ظلما . إنه لا يوجد من الحلول الانسانية لعقدة هذه الأحزان إلا حل واحد ، وهو أن تختفى واحدة منكما إما بالموت وإما بالانصراف . ومن التى يجب أن تنصرف إذا لم تكن تلك التى أتى بها القدر متأخرة

سيليزيت — ولماذا لا تكون التى أتى بها القدر متقدمة

أجلافين — (متقدمة نحوهما وهي تقول) : لا يجيء أحد قبل الأوان يا سيليزتى المسكينة ، وإنما يجيء كل فى ساعة معينة ، وإننى أعتقد أن الجدة محقة

سيليزيت — إذا كانت الجدة محقة ، فاننا سنصير تعيسات

أجلافين — وإذا كانت الجدة مخطئة ، فاننا سنبكى أيضاً . ماذا تريدين يا سيليزيت ونحن لا نملك إلا الاختيار بين دموعنا فحسب ؟ ولو أننى لا أستمع إلا إلى تعقلى الضعيف لقلت لك : إنه ينبغى أن نختار الحل الذى هو أكثر جمالا ، والأكثر جمالا هنا هو ذلك الذى تسكبينه ، ولكنني قلقة منذ بضعة أيام ، ولقد قلت لنفسى أكثر من مرة : إن وراء هـذه الحقيقة التى يمكن أن ندركها حقيقة أخرى أكثر خطراً وعمقاً وإنها تنتظر فى أعماق نفوسنا ساعتها المحددة ، وإن كل كلماتنا لا تستطيع أن تمحو بسمتها ولا أن تجفف الدموع من عينيها ، وإننى أعتقد أننى وجدت اليوم هذه الحقيقة التي تصيرنا برغم مجهوداتنا . وداعاً يا سيليزتي ، قبلينى فقد تقدم بنا الليل ، وميلياندر ينتظرك

سيليزيت — ألا تجيئين لتقبيله معى

أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن ، أنا سأقبلك أنت حين سنكون معا ، وسأستطيع أن أقول له كل ما ينبغى أن يقال له كما لو كنت أقبله

سيليزيت — ماذا حدث ؟ إن عينيك تلمعان كأنك تخفين عنى شيئاً .

أجلافين — بالعكس إن عينى تلمعان ، لأنى لم أعد أخفي شيئاً ، لقد عرفت أنه يحبك ، إنه يحبك بهيئة أعمق مما كان يظنه هو نفسه

سيليزيت — وهل قال لك ذلك ؟

أجلافين — لا ، ولو أنه قاله لى لما كنت متأكدة منه مثل تأكدى الآن

سيليزيت — لكن ، وأنت ؟ ألم يعد يحبك ؟

أجلافين — إنه يحبنى أقل مما يحبك

سيليزيت — أوه يا أجلافينى المسكينة إن هذا غير ممكن ، لماذا هو يحبك أقل منى ؟ ماذا تريدين أن أفعل ؟ ينبغي ألا تظلى وحدك هـذا المساء إذا كنت تعتقدين أنك لست سعيدة ، هل تريدين أن أمكث معك ؟ سأقول له ....

أجلافين — إذهبى إذهبى ، أسرعى يا سيليزيت ، أنا لن أكون أبداً أكثر سعادة فى أى وقت منى فى هذا المساء . قالتا ذلك ثم تعانقتا فى صمت وخرجتا متتابعتين

(البقية فى العدد القادم)

محمد غنيم